

برجل رشيد . فوجدت الناس في سلوكهم . على دين . لو كهم . فخرجت
من المدينة خائفة تترقب ان يلحقها العذاب المهيمن . وتوجهت الى الملا
الأعلى وهي تقول (رب نجني من القوم الظالمين) . وللكلام بقية .

﴿ استهزاء همم ﴾

١١

بقية الولايات العربية يكاد يكون الكلام عليها متقارباً متشابهاً من
حيث اطماع انكثرت فيها الوقوعها في قارة الطريقين المؤديين الى الهند البحري
والبري فهي ربما كانت تضر في نفسها التقام جزيرة العرب برمتها وتتمني
لو تكرر فوقها الرافدين دجلة والفرات

(سوريا) ونعني بها البلاد الواقعة بين آسيا الصغرى شمالاً ومصر غرباً .
ان للدول الغربية بواعث جملة للتطلع الى سوريا والاندساس بينها وبين
صاحبها وأقوى تلك البواعث وأعظمها خطراً امران (الاول) كونها معدن
الديانة النصرانية ومنبثق الأشعة العيسوية وكفافاً (*) يضم المعاهد المقدسة
التي تتناهبها الامم المسيحية من كل جنس وعلى أي نخلة يتقاطرون اليها على
قصد الزيارة والتبرك و (الثاني) تكاثر النصارى في ربوعها والتفافهم بمسلي
أهلها بما أربى على سائر الولايات العربية . احد هذين الباعثين كاف في انبعاث
دول أوروبا للاهتمام بسوريا والمساجلة في نيل النفوذ فيها فبالك وقد اجتمعا
معاً والمعهود من شنشنة القوم التحمس في خدمة الدين ورفع شأن كهنته
والتظاهر بحماية النصارى المنبثين في الاقطار الشرقية والتشوف لسبب اغوار

(*) كفاف الشيء بالكسر ما يرضه ويحيط به فكفاف النخل اطاره وكفاف المرأة

والصورة هو ما يسمونه اليوم (برواز)

سرايرهم وجس نبض حميتهم والاشراف على شؤونهم مع متبوعهم ومواطنيهم فكانت سوريا لما ذكرنا افسح مجال لتسابق خيول اماني هؤلاء القوم واوسع فضاء لتجويم نسور اطماعهم

اكان المجلي في هذا المضمار قبل احتلال الانكليز لمصر هو فرنسا فكانت تخلص اليها اميال نصارى سوريا وتستحوذ على عواطفهم سيما طائفة الموارنة منهم بل كاد اسمها يزاحم حكومة البلاد (لاسيما في لبنان) وانها تغلب على اللغة الوطنية فما احلت انكلترا وادي النيل حتى اخذت ظلال نفوذها ثقيل من سوريا شيئاً فشيئاً وجواسيس آملها تتراجع من خلال تلك الديار قليلاً قليلاً وبقي لها من ذلك بقية ربما كانت توازي ما خامر البلاد من شأن الانكليز واطلها من نفوذها . أما الانكليز انفسهم فليس لهم في سوريا رواد نفوذ ولا دعاة مدنية لكن رزقوا من ذلك اقواما هم يزرعون والانكليز يحصدون وهم يرسون والانكليز يجنون بل ترام يا كلون ويشربون والانكليز يشبعون ويرتوون نغني بهم الاميركان فانهم انشأوا منذ سنين بين ظهرانينا مدارس ومطابع وكتبخانات ولهم قسيسون ومبشرون ينشرون اللغة الانكليزية وبيثون آدابها بين الفتيان والفتيات فيجني الانكليز عواطفهم وأميالهم ويعتد بهم كوى يطل منها على اسرار البلاد وما في زواياها

(الروسية) لم نشأ الحروب بينها وبين الدولة العلية جتي حلت من نفوس نصارى سوريا سيما الروم منهم محلاً ربيعاً ولا تزال تسعى في استمالة القلوب واشرابها حبها . ولها في فلسطين جمعية كبرى تدعى الجمعية الفلسطينية تحت رئاسة عم القيصرو قد تبسطت من عهد قريب في فينيقية والشام وغيرها من سوريا . وغرض تلك الجمعية الاكبر تعليم اللغة الروسية ونشر آدابها وتعاليمها

بين أهالي البلاد، وقد مهدوا بين يدي مشروعاتهم السبل ووطؤوا المسالك فهرعت
 الاقوام الى مدارسهم للارتشاف من هذا المنهل المذب وازدهروا حوله حتى
 لم يعد ماؤه المتفجر يكفي ورآدهم وناهلهم وربما اجروا بناييع اخر اغزر ماء
 واشد تفجراً . انشأت تلك الجمعية في طرابلس الشام مدرستين واحدة
 للذكور والاخرى للاناث وبذلت الجهد في تدليل العقبات امام الطالبين
 والطالبات واعتنت في تسهيل الصعوبات عليهم اعتناء ينطبق على حالتهم في
 العسر واليسر والكبر والصغر فما ظنك بمداد تلامذة تينك المدرستين
 الآن ؟ يبلغون قرابة الف ولد ما بين ذكر وأنثى اكثرهم اطفال حديثو العهد
 بمهد تحنو عليهم المدرسة حنو المرضعات على اطفالهن فقيرهم بحاجاته
 وتعتد صغيرهم بضروراته وترضعهم ليلان العلم والتهديب من صغر كي يتمكن
 من نفوسهم تمكن النقش في الحجر

(الالمان) تيوتوا من سواحل فلسطين عدة محال ومنازل ولم يزل نسر
 طمهم - على مايروون - يحوم حول البحر المتوسط طورا يسف وآونة
 يخلق تخير لنفسه وكنات اخر بيض فيها ويفرخ . وغاية هذا الشعب في
 بلادنا اقتصادية تجارية ولا تعلم ان كانت له مآرب سياسية او استعمارية
 بيد انه يترآي من خلال شؤون دول اوربان الالمان اقل نهما واوفى ذمما
 من سائر الدول وان كانوا كلهم سواسية (سواء) في خشونة الطبع عند الحفيظة
 والطيران الى معامع الشر ولو في أقصى الشرق واستباحة التغلب على الامم
 المستضعفة والصيل عليها بذراع من حديد

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا
 يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة ومن اساءة اهل السوء احسانا

كان ربك لم يخلق خشيته سواهم من جميع الخلق انسانا
اما الطليان فقد حاولوا مرارا ان يكون لهم في بلادنا من الاثر والنفوذ
ما لغيرهم وسعوا في افتتاح مدارس لنشر لغتهم وتعاليمهم فلم يفلحوا وباؤا بالحقية
والحرمان . واكثرهاته الدول طمعا في سوريا واشدهن ضراوة بها انكثرا
بعد الاحتلال وربما كسبت الدعوى عليهن وآبت بالقليج فيما لو جرروها الى
المحكمة الدولية الكبرى . اعظم حجة لها بين يدي دعواها التاريخ فهو يشهد بان
سوريا حريم لنهر النيل وان كل من ملك ذلك النهر حق له وضع اليد على ذلك
الحريم ثم يتبع شهادته بقوله . على ذلك جرى تعامل الامم منذ اسس الملك
(مينا) مدينة (منف) الى زمن تولية محمد علي باشا وزحف ابنه ابراهيم
على سوريا . وبناء على اعتبار شهادة الواحد في قوانين تلك المحكمة يحكم
الرئيس بصحة دعوى انكثرا ويمنع دعوى المدعين . واذا تلكا المدعون في
قبول هذا الحكم الجائر وحاولوا استنفاه او تمييزه الى محكمة رئيسها المكسيم
يمشي حينئذ بعض اعضاء المحكمة بالصلح بينهم قائلا ان في افريقيا والصين
لمندوحة عن قنطرة السلاح ومخر السفين

هذا وان نسبة مصر وسوريا الى الهند كنسبة غلتي الباب الى الدار
فكيف يكتحل رب الباب بنمض قبل ان يطمئن على خزان داره بايضاد
الفلقين وزد على ذلك ان المداولات لم تزل جارية في امر مشروع السكة
الحديدية التي تصل بين سواحل البحر المتوسط وسواحل الخليج المعجمي
لتكون اقرب طريق بين اوربا والهند والشرق الاقصى فلا جرم ان
يكون لسوريا مكانة عليا في نفسها

(التار) ان ترضى الدول باعطاء سوريا لانكثرا الا ان تفتي روسيا وفرنسا